رسائل التوبة

هؤلاء خصماؤك غداً

عبد الملك القاسم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فمع طول الأمل وتتابع الغفلة، وقلة الخوف من الله عز وجل، انتشرت ظاهرة الظلم التي قل أن يسلم منها أحد.

ولأهمية تنزيه النفس عن هذا الداء الخبيث الذي يذهب بالحسنات ويجلب السيئات أقدم الجزء الرابع، من سلسلة رسائل التوبة.

يختص بالظلم وأنواعه وسبل السلامة منه.

أدعو الله عز وجل أن يجعلنا من أهل الجنة ووالدينا، وجميع المسلمين.

مدخل

الظلم خصلة ذميمة، وعادة قبيحة، ذمها الله عز وجل في كتابه الكريم وعلى لسان سيد المرسلين، وقد حرم الله عز وجل الظلم على نفسه فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 40] وقال في الحديث القدسي: "**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**" [رواه مسلم].

وقد حرم عز وجل الظلم بين العباد تحريما شديدا، وتوعد الظالمين بعذاب أليم قال تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر: 18] وقال جلا وعلا: ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [البقرة: 270].

وقد حذر النبي ﷺ من الوقوع في آفة الظلم فقال ﷺ "**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**" [رواه

مسـلم]. والتعبـير بالظلمـات يـدل على التكاثر عند الجزاء والحساب.

وقد نبه النـبي ﷺ إلى أن الحقـوق باقية إذا لم تستوف إلى يوم القيامة حيث موقف القصاص وإعطاء كل ذي حق حقه.

عن أبي هريـــــرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حـتى يقـاد للشـاة الجلحـاء من الشـاة القرنـاء**" [رواه مسلم].

قال **ابن الجوزي:** الظلم يشتمل على معصيتين؛ أخذ مال الغير بغير حق؛ ومبارزة الـرب بالمخالفـة، والمعصـية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الـذي لا يقـدر على الانتصـار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لأنه لو اسـتنار بنـور الهـدى لاعتبر.

والظلم داع إلى نـزول العـذاب قـال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ [الزخرف: 65].

ومن شـؤم معصـية الظلم أن أمـده

قريب وإن طال، وحسابه عسير وإن تأخر إلى حين.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته،** ثم قرأ ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود 102]".

ولعظم أمر الحقوق، واستنجاد المظلوم بملك الملوك ومغيث المظلومين، فإن الله عز وجل يسمعها ويجيب دعوة المظلوم قال ﷺ: "**اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**" [رواه البخاري].

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، وأصله الجور، ومجاوزة الحد، وأشكاله متعددة، وصنوفه متنوعة؛ منها: ظلم الإنسان نفسه، وظلم الإنسان إنسانا آخر، سواء كان مؤمنا أم كافرا ويمتد الظلم ليصل إلى الحيوانات وغيرها.

هؤلاء هم خصماؤك

أخي المسلم:

وأنت تسير في هذه الدنيا وتسعد بالصحة والعافية ونعمة الأمن ورغد العيش، تأمل في حال أنت تؤمن به وسوف تلاقيه، ألا وهو البعث والجزاء، والحساب والعقاب.

والأمر كذلك، فإن ذلك اليوم يوم عظيم، تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

وفي هذا اليوم يبلغ العرق من العباد مبلغا عظيما على حسب أعمالهم قال **"تدني الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما"** (وأشار رسول الله بيده

إلى فيه) [رواه مسلم].

اليـوم أنت في صـحة وعافيـة، والمـاء بجـوارك ولا يـزال عـرق الحيـاة فيك ينبض تصور غدا موقف الحساب.

فمن يتقـــدم إليك ليحاجك عند الله عز وجل؟

من هم خصـــــماؤك غـــــدا؟ وأين أهل الحقوق في تلك الوقفة الحاسـمة، سـأقدم لك بعضا منهم على عجل وبدون تفاصيل أو ذكر لكـــثرة الحقـــوق أو قلتهـــا؛ إنما هو استشراف سريع لأمر ستراه غدا، وإن غـدا لناظره لقريب.

قــال ابن تيمية رحمه اللــه: الحسـنات كلها عــدل، والســيئات كلها ظلم، وأن الله إنما أنـــزل الكتب وأرسل الرسل ليقـــوم النـاس بالقسـط، والقسط والظلم نوعـان: نوع في حق الله تعالى كالتوحيد، فإنه رأس العدل، والشرك رأس الظلم، ونوع في حق العبـــــاد، إما مع حق الله كقتل النفس أو مفردا كالـدين الـذي ثبت برضا صـاحبه، ثم إن الظلم في حق العبـاد نوعـان: وهو ظلم

كمعاملة الربا والميسر [مجمـوع الفتـاوى (20/ 79)].

أخي المســـلم: إن موقف القيامة موقف عصيب ومشهد رهيب.

قـــال الحســـــن: إن الرجل ليتعلق بالرجل يــوم القيامة فيقــول: بيــني وبينك الله، فيقولك والله ما أعرفك.

فيقولك أنت أخـذت طينة من حـائطي، وآخر يقول: أنت أخذت خيطا من ثوبي.

وسـوف يكـون لأصـحاب التفريط يـوم ندامة وسـاعة تـأوه ﴿**اقْـرَأْ كِتَابَـكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسـراء: 14] لكن بعد فوات الأوان، وحلول العذاب.

قـال **بلال بن مسـعود:** ربَّ مسـرور مغبـون، يأكل ويشـرب ويضـحك، وقد حق في كتاب الله عز وجل أنه من وقود النار.

وقـال الحسن رضي الله عنـه: ما ظنك بيـــوم قـــاموا فيه على أقـــدامهم مقـــدار خمسين ألف سنة، لا يأكلون فيها أكلــة، ولا يشـــربون فيها شـــربة، حـــتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا، واحترقت أجـوافهم جوعًـا،

انصرف يقصد العصاة والمجرمون إلى النار فســـقوا من عين آنية قد آن حرها واشـــتد لفحها.

ولهـــذا الخـــوف ومن هـــذه الســـاعة العظيمة يراجع المسلم حسابه، ويدقق في ذمتـــه، ويســـارع إلى إعـــادة الحقـــوق أو اسـتحلال أصـحابها، فـإن لم تكن في الـدنيا فهي في الآخرة.

ورحم الله الحسن حيث يقول: المـؤمن قوام على نفسـه، يحاسـبها للـه، وإنما خف الحســاب على قــوم حاســبوا أنفســهم في الـــدنيا، وإنما يشق الحســـاب يـــوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

ورحم الله مالك بن دينـــار حيث قـــال: رحم الله عبدا قـال لنفســه: ألست صـاحبة كـذا؟ ألست صـاحبة كـذا؟ ثم خطمهـا، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان قائدا لها.

من أنواع الظلم

أنــواع الظلم كثــيرة لكن بعضــها دون بعض وكلها شر وندامة ومنها:

أولا: ظلم الإنســان نفســه، بــترك الطاعة واقتراف المعصية قال تعـالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَــابَ الَّذِينَ اصْــطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَـالِمٌ لِنَفْسِـهِ﴾** [فـاطر: 32].

وأعظم أنــواع ظلم الإنســان لنفســه، الوقوع في الشرك بالله قال تعـالى محـذرا من ذلك: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـانُ لِابْنِـهِ وَهُـوَ يَعِظُــهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْــرِكْ بِاللــهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: 13].

ثانيا: قتل النفس الـتي حـرم الله وقد قـال النـبي ﷺ : "**لا يـزال المـؤمن في فســــحة من دينه ما لم يصب دما حراما**" [رواه البخاري].

ثالثا: أكل مال اليتـامى قـال تعـالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَــأْكُلُونَ أَمْــوَالَ الْيَتَــامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَـأْكُلُونَ فِي بُطُـونِهِمْ نَـارًا**

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا [النساء: 10].

وقال ﷺ : "**اجتنبوا السبع الموبقات**" وذكر منها: ... **وأكل مال اليتيم** [متفق عليه].

رابعا: أكل أموال الناس بالباطل، وقد كانت الزوجة من السلف الصالح تقول لزوجها إذا خرج إلى عمله، اتق الله، وإياك والكسب الحرام، فإننا نصبر على الجوع والضر، ولا نصبر على النار.

وأكل أموال الناس بالباطل له صور شتى منها:

1- عدم الوفاء بسداد الدين: فالبعض يقترض الأموال ويحسن المسلمون الظن به، فيدفعون إليه أموالهم التي تعبوا في جمعها، ثم ها هو يسوف في التسديد ويتهرب عن إرجاع المال إلى من أحسن إليه، ولهؤلاء المفرطين أذكرهم بحديث النبي :

عن قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه عن رسول الله أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله : "**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**" ثم قال رسول الله : "**كيف قلت؟**" قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله : "**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، إلا**

الدين فإن جبريل قال لي ذلك" [رواه مسلم].

ومن أنواع الظلم أيضا عدم تسديد حقوق الناس التي تتم بها المعاملات، وقد قال ﷺ: "**مطلُ الغني ظلم**" [رواه البخاري].

2- اغتصاب الأراضي والتعدي على حقوق المسلمين: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: قال "**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**" [متفق عليه].

3- **الحلف كذبا لاغتصاب الحقوق:**

عن أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة**" فقال رجل: وإن كان شويئًا يسيرا يا رسول الله؟ فقال: "**وإن قضيبا من أراك**" [رواه مسلم].

4- الرشوة: وقد لعن الرسول ﷺ

الراشي والمرتشـــي، وبعض المـــوظفين يعطل حاجــات المســلمين ويهولها عليهم، ويصــعب أمورها حــتى يــدفع له مبلغا من المال عمولة أو هدية وقد حذر النـبي من هذا:

عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال ســـمعت رســـول الله يقـــول: "**من اسـتعملناه منكم على عمـل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتي به يـوم القيامة**" فقـام إليه رجل أسـود من الأنصار، كـأني أنظر إليـه، فقـال: يا رسـول الله أقبل عـني عملـك، قـال: "**وما لـك؟**" قال: سمعتك تقول كـذا وكـذا، قـال: "**وأنا أقوله الآن: من استعملناه على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى**" رواه مسلم.

وعن خولة بنت عــامر الأنصــارية، وهي امرأة حمـزة رضي الله عنه وعنهـا، قـالت: سـمعت رسـول الله يقـول: "**إن رجـالا يتخوضــون في مــال الله بغــير حق فلهم النـــــار يـــــوم القيامة**" [رواه

البخاري].

خامسًا: الأخذ من بيت مال المسلمين وأموالهم العامة: وتأمل في حال من خرج للجهاد وأين حاله وكيف مصيره.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال النبي : "**كلا إن رأيته في النار، في بردة غلها أو عباءة**" رواه مسلم.

وعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي رجلا من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي فقام رسول الله على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "**أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلي، أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه**

إن كـــان صـــادقا، والله لا يأخذ أحد منكم شـــيئا بغـــير حقه إلا لقي الله تعـــالى، يحمله يـــوم القيامـــة، فلا أعــرفن أحــدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقـرة لها خـوار، أو شـاة تيعر" ثم رفع يديه حـتى رؤي بيـاض إبطيه فقـــــال: "**اللهم هل بلغت**"؟ ثلاثًا متفق عليه.

وقد دعا النـــــبي لمن يسر أمـــــور المسلمين ودعا على من شق عليهم فقـال : "**اللهم من ولي من أمر أمـــــــتي شـــيئا، فشق عليهم فأشـــقق عليـــه، من ولى من أمر أمـــتي شـــيئا فرفق بهم فأرفق به**" رواه مسلم.

سادسًـا: من أنـواع الظلم: إفسـاد المـــرأة على زوجها عن طريق العلاقـــات المحرمة وقد قـــال النـــبي : "**من خبب خادما على أهله فليس منـــــا، ومن أفسد امـــرأة على زوجها فليس منا**" رواه أحمد.

وكـــذلك كما ورد في الحـــديث إفســـاد

الخادم على سيده، وهذا منتشر بين التجار، فما أن يــرى أحــدهم موظفًا ناجحًا لــدى شركة حتى يسارع إلى الاتصال به وإغـراءه بالمال حتى يـترك مكانه ويـذهب إلى بلاده، ثم يعود لهذا الذي أفسده

ســـابعا: الحلف الكـــاذب لـــبيع السـلعة والغش فيهــا: كما نــرى في بعض المحلات أو معارض السيارات.

ثامنـــا: عـــدم الدقة والأمانة في العمل: فتجد الموظف أو الأجير يأخذ حقه كاملا ويـؤدي حقه منقوصا وذلك ظلم، قـال تعـــالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْــنَا الْأَمَانَــةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَـأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـــفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَـــانُ إِنَّهُ كَـــانَ ظَلُومًا جَهُــولًا**﴾ [الأحزاب: 72].

تاسـعا: ظلم الطلبة والطالبـات: وذلك بالتعـــدي عليهم، شـــتمًا وتجريحًا أو ضربًا في غـير محلـه، أو إنقاصا لـدرجاتهم، وزيادة من لا يستحقه، والكثير يقع في هـذا الظلم حين ارتفـــاع حالة الغضب عنـــده،

والنبي ﷺ حذر من ذلك مـرارا، فقد قـال له رجل أوصـني فقـال ﷺ: "**لا تغضب**" رددها مرارا.

عاشـــــــــــرًا: نقص المكاييل والمــوازين: وقد حــذر الله عز وجل من ذلك فقــال تعــالى: ﴿**وَيْــلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين: 1]

الحادي عشر: عــدم تعليم الجاهل ونصــــــــحه: فمن حق الجاهل عليك وقد رزقك الله العلم الشـــرعي أن تعلمه وتدله وتهديه إلى طريق الرشاد.

الثـاني عشـر: عـدم أمر من تحت يدك كالزوج والأبناء والخدم بالصـلاة واجتناب المحرمات: فـإنهم أمانة عنــده ومسـئول عنهم لحــديث النــبي ﷺ: "**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**".

الثـالث عشـر: التـأخر في إنجـاز معــاملات المســلمين: والمماطلة فيها وتضـييع وقت الـدوام، وتـرى المراجع يـأتي من مسـافات بعيـدة منفقا ماله ووقتـه، ثم يجد لا مبالاة من الموظـف، وكأنه لم يوضع

لخدمة المراجعين والقيام بمصالح المسلمين.

الرابع عشر: عدم إعطاء العمال حقوقهم: وهذا من أعظم الظلم فإنهم ما أتوا إلا لأخذ هذا الراتب الزهيد فتركوا الأهل والأوطان، ثم هذا الظالم يستغل ضعفهم وحاجتهم فيؤخر رواتبهم أو يقتص منها دون وجه حق.

قال ﷺ: "**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة**" وذكر منهم ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه، رواه البخاري.

وفي الحديث الآخر الشامل قال ﷺ: "**كل مسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه...**" [رواه الترمذي].

الخامس عشر: عدم العدل بين الزوجات، قال ﷺ : "**من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة، وشقه مائل**" [رواه أبو داود].

السادس عشر: القذف والحديث في أعراض المسلمين قال تعالى: ﴿

وَالَّذِينَ يَرْمُــــونَ الْمُحْصَــــنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَــأْتُوا بِأَرْبَعَــةِ شُــهَدَاءَ فَاجْلِــدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُـوا لَهُمْ شَـهَادَةً أَبَـدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ [النــور: 4].

الســابع عشــر: البهتــان والكــذب والغيبة والنميمة:

قــــال لمعــــاذ بن جبل رضي الله عنــه: ... **وهل يكب النــاس في النــار على وجــوههم إلا حصــائد ألســنتهم** [رواه الترمذي].

الثامن عشر: ظلم الجار: وذلك إما بظلمه وأذيته وقد نهى عن ذلك، الرسول حيث يقـــول: "**من كـــان يـــؤمن بالله واليـــوم الآخر فلا يـــؤذ جـــاره**" [رواه البخـــاري] ومن أنـــواع الأذى تتبع عورتـــه، واقتطـــاع جـــزء من ملكـــه، أو فتح النوافذ على بيته أو إلقاء القمامة أو غيرها.

والنــوع الثــاني من الظلم: عــدم أمــره بــالمعروف ونهيه عن المنكر وتــرك دلالته على الخير وإهداءه الكتب والأشرطة

النافعة.

التاسع عشر: ظلم الزوجة بأخذ مالها أو بعضه: من إرث أو مرتب تحت التهديد والوعيد، ودون طيب خاطر، وقد يرى أن سكوتها موافقة، وهي إنما فعلت خوفا من حدوث المشاكل ووقوع الخلافات ، وكذلك تحميلها ما لا تطيق، ورميها بفاحش القول، أو الاستهزاء بها ومن هذا أيضًا ظلم الزوجة لزوجها بعدم طاعته أو الخروج بدون أذنه أو رفع الصوت وسبه أو تكليفه ما لا يطيق أو غير ذلك.

العشرون: إيذاء المسلمين في الشوارع والطرقات: إما بأذية خلقية كالتعدي على المحارم والنظر إليهم، وإما بأذية أخرى كالسرعة والتجاوز الممنوع وغيره وقد قال ﷺ: "**إياكم والجلوس على الطرقات**" فقالوا: ما لنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: "**فإذا أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها**" قالوا: وما حق الطريق؟ قال: "**غض البصر، وكف الأذى، ورد**

السـلام، وأمر بـالمعروف ونهي عن المنكر" [رواه البخاري].

الحادي والعشرون: عدم العـدل بين الأولاد: خاصة في الوصية، وقد كان السلف يعـدلون حـتى في القبلة بين أولادهم، وقد طلبت أم النعمان بن بشير من والده رضي الله عنهم أن يهبهم شـيئا وأن يشـهد عليه رسـول الله يقـول النعمـان، فأخذ أبي بيـدي وأنا يومئذ غلام فـأتى رسـول الله فقال: يا رسـول الله إن أم هـذا بنت رواحة أعجبها أن أشـهدك على الـذي وهبت لابنها فقال النبي : "**يا بشير ألك ولد سـوى هذا**" قـال: نعم، قـال: "**أكلهم وهبت له مثل هـذا**" قـال: لا، قـال رسـول الله : "**فلا تشـهدني فـإني لا أشـهد على جور** " (أي ظلم) [رواه مسلم].

ومن ذلك أيضا ظلم الورثة ولهـذا حددت الوصية بالثلث فأقل قال "**الثلث، والثلث كبير أو كثير**".

الثاني والعشرون: سباب المسلمين وشتمهم قال "**سباب المسلم فسوق**

وقتاله كفر" [رواه مسلم].

الثـالث والعشـرون: الغش للرعيـة: سـواء أكـانوا رعية خاصة أم عامة قـال ﷺ: "**ما من عبد يسـترعيه الله رعيـة، يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**" [رواه مسلم].

الرابع والعشـرون: ظلم الوالـدين فعقوق الوالدين أو التقصـير في حقها ظلم من الولد لوالديه والآيـات والأحـاديث في هذا كثيرة معروفة.

أخي المسلم:

قد عرفت هـول المـيزان وخطـره، وأن الأعين شاخصة إلى لسـان المـيزان: **﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُـهُ فَهُـوَ فِي عِيشَـةٍ رَاضِـيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُـهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَـهْ نَـارٌ حَامِيَـةٌ﴾** [القارعة: 6-11].

واعلم أنه لا ينجو من خطر المــيزان إلا من حاسب في الـــدنيا نفســـه، ووزن فيها بمـــيزان الشـــرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاتـــه، كما قـــال عمر رضي الله عنه حاسـبوا أنفسـكم قبل أن تحاسـبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصـية قبل المــوت توبة نصــوحا ويتدارك ما فـرط من تقصـيره من فـرائض الله تعـالى، ويـرد المظـالم حبة بعد حبـة، ويسـتحل كل من تعـرض له بلسـانه ويـده وسـوء ظنه بقلبـه، ويطيب قلـوبهم حـتى يمـــــوت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهـذا يـدخل الجنة بغـير حسـاب، وإن مـات قبل رد المظـالم أحـاط به خصـماؤه فهـذا

يأخذ بيده، وهـذا يقبض على ناصـيته. وهـذا يتعلق بلببه، هذا يقول ظلمتني، وهذا يقــول شـتمتني، وهـذا يقـول اسـتهزأت بي، وهـذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وهـذا يقول جاورتني فأسأت جواري، وهـذا يقـول عـاملتني فغششـتني وهـذا يقـول، بـايعتني فغبنتني وأخفيت عـني عيب سـلعتك، وهـذا يقول كذبت في سـعر متاعـك، وهـذا يقـول رأيتــني محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتــني ، وهذا يقـول وجـدتني مظلومًـا، وكنت قـادرا على دفع الظلم عـني فـداهنت الظـالم وما راعيتني.

فبينا أنت كــذلك وقد انشب الخصـــماء فيك مخـالبهم وأحكمـوا في تلابيبك أيـديهم وأنت مبهـوت متحـير من كـثرتهم، حـتى لم يبق في عمـــرك أحد عاملته على درهم أو جالســته في مجلس إلا وقد اســتحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين اســـتحقار، وقد ضـــعفت عن مقـــاومتهم ومـددت عنق الرجـاء إلى سـيدك ومـولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء

الجبار جل جلاله ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾ [غافر: 17] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسول حيث قال: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنْذِرِ النَّاسَ**﴾ [إبراهيم: 42-44].

فما أشد فرحك اليوم يتمضمضك الناس ومناولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا؟ فعند لك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصماؤك عوضا عن حقوقهم، قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: "**هل تدرون**

من المفلس" قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له، ولا دينار ولا متاع قـال: **"المفلس من أمــتي من يــأتي يــوم القيامة بصلاة وصيام وزكـاة، ويـأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مــال هــذا وســفك دم هــذا وضــرب هــذا فيعطي هــذا من حســناته وهــذا من حسناته فإن فــنيت حســناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطايـــــاهم فطــرحت عليه ثم طــرح في النــار"** فانظر إلى مصـيبتك في مثل هـذا اليـوم إذ ليس يســلم لك حســنة من آفــات الريــاء ومكايد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة من مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخــذوها، ولعلك لو حاســبت نفسك وأنت مـــواظب على صيام النهـار، وقيـام الليـل، لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجـري على لسـانك من غيبة المســـلمين ما يســـتوفي جميع حسناتك!

فكيف ببقية السـيئات من أكل الحــرام

والشبهات والتقصـير في الطاعـات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظـالم في يـوم يقتص فيه الجمـاء من القرنـاء؟ فقد روي أبو ذر: أن رســول الله رأى شــاتين ينتطحــان فقــــــال: "**يا أبا ذر أتـــــدري فيم ينتطحـان؟**" قلت: لا، قـال: "**ولكن الله يـــــدري وسيقضي بينهما يـــــوم القيامة**".

وقـال أبو هريـرة في قوله عز وجـل: **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَـــائِرٍ يَطِـــيرُ بِجَنَاحَيْـــهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَـــالُكُمْ** [الأنعـام: 38] أنه يحشر الخلق كلهم يــوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شــيء فيبلغ من عـدل الله تعـالى أن يأخذ للجمـاء من القرنـاء، ثم يقـول كـوني ترابـا، فـذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابـا، فكنت أنت يا مسكين في يوم ترى صـحيفتك خالية من حســنات طـــال فيها تعبك فتقـــول: أين حســـناتي؟ فيقـــال: نقلت إلى صــحيفة خصمائك.

وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط؛ فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة، والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة.

قال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: **"إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات، وهي الموبقات، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد لجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات، فيرى أنهن سينجينه، فما يزال عبد يجيء فيقول: رب إن فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء، وإن مثل ذلك مثل**

ســـفر نزلـــوا بغلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القـوم فخطبـوا فلم يلبثـــوا أن أعظمـــوا نـــارهم وصنعوا ما أرادوا" وكذلك الذنوب ، ولما نـــــزل قوله تعـــالى: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُـــونَ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُـــونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَــــوْمَ الْقِيَامَـــــةِ عِنْـــــدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾** [الزمر: 30، 31] .

قال الزبـير: يا رسـول الله أيكـرر علينا ما كان بيننا في الـدنيا مع خـواص الـذنوب، قال: "**نعم ليكررن عليكم حـتى تـؤدوا إلى كل ذي حق حقه**" قال الزبير: والله إن الأمر لشـــديد، فـأعظم بشـــدة يـــوم لا يســـامح فيه بخطـــوة ولا يتجـــاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حـــتى ينتقم للمظلـــوم من الظالم قال أنس : سمعت رسـول الله ﷺ يقول: "**يحشر الله العباد عراة غـبرا بهما**" قـال: قلنـا: ما بهمـا؟ قـال: "**ليس معهم شيء، ثم يناديهم ربهم تعالى بصـوت يسـمعه من بعد كما يسـمعه**

من قـــرب: أنا الملك أنا الـــديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يـــدخل الجنة ولأحد من أهل النـــــار عليه مظلمة حـــتى أقتصه منـــه، ولا لأحد من أهل النـار أن يـدخل النـار ولأحد من أهل الجنة عنـــده مظلمة حـــتى أقتصه منه حـتى اللطمة" قلنــا: وكيف وإنما نــأتي الله عز وجل عــراة غــبرا بهما فقـال: "**بالحسـنات والسـيئات**" فـاتقوا الله عبـاد الله الصـالحين، واحـذروا مظـالم العباد بأخذ أمـوالهم، والتعـرض لأعراضـهم، وتضـــييق قلـــوبهم، وإســـاءة الخلق في معاشـــرتهم، فـــإن ما بين العبد وبين الله خاصة فــالمغفرة إليه أســرع ومن اجتمعت عليه مظـــالم وقد تـــاب عنها وعسر عليه اسـتحلال أربـاب المظـالم فليكـثر فعسـاه يقربه ذلك إلى الله تعــالى فينــال به لطفه الـــذي ادخـــره لأحبابه المؤمـــنين في دفع مظالم العباد عنهم.

فتفكر الآن في نفسك إن خلت صـحيفتك عن المظـالم أو تلطف لك حـتى

عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبـد: كيف يكـون سرورك في منصـرفك من مفصل الفضـاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا، وعدت بسـعادة ليس بعدها شقاء، وبنعيم لا يدور بحواشــيها الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا، وابيض وجهك، واستنار وأشـرق كما يشـرق القمر.

كيف هو المخرج؟

عن أبي هريـــــــــرة رضي الله عنه أن رســـــول الله قـــــال: "**أتـــــدرون ما المفلس؟**" قـــــالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متـــاع، فقـــال: "**إن المفلس من أمـــتي من يـــأتي يـــوم القيامة بصـلاة وصـيام ولا زكـاة، ويـأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هـذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهـذا من حسـناته، فـإن فـنيت قبل أن يقضي ما عليـه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليـه، ثم طرح في النار**" [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن عمــــرو بن العــــاص رضي الله عنهما عن النـــــــبي قـــــال: "**المسـلم من سـلم المسـلمون من لسـانه ويـده، والمهـاجر من هجر ما نهى الله عنه**" [متفق عليه].

وعن أبي هريـــــــرة رضي الله عنه عن النبي قـال: "**من كانت عنـده مظلمة لأخيـــــه، من عرضه أو من شـــــيء**

فليتحلله منه اليـوم قبل أن لا يكـون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقـدر مظلمتـه، وإن لم يكن له حسـنات أخذ من سـيئات صـاحبه فحمل عليه" [رواه البخاري].

قال **الحسن:** يا ابن آدم تـرك الخطيئة أيسر من طلب التوبة.

وقـال **أحمد بن عاصـم:** هـذه غنيمة باردة أصلح ما بقي من عمـرك يغفر لك ما مضى.

وقـــال رجل **لـــوهيب بن الـــورد:** عظـني؟ فقـال: اتقي أن يكـون الله أهـون الناظرين إليك.

وقــالت **عائشة** رضي الله عنها أقلــوا من الـذنوب، فـإنكم لن تلقـوا الله عز وجل بشيء أفضل من قلة الذنوب.

قـــال: **إبـــراهيم بن أدهم:** من أراد التوبة فليخرج من المظـالم وليـدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد:

أخي المسلم :

أما والله إن **ولا زال المسيء**

إلى الديان يوم وعند الله تجتمع
ستعلم في غدا عند المليك
ستنقطع اللذة من الدنيا وتنقطع
لأمر ما تصرمت لأمر ما تحركت
سل الأيام عن ستنبيك المعالم
تروم الخلد في فكم قد رام
تنام ولم تنم عنك تنبه للمنبه يا
لهوت عن الفناء فما شيء من
تموت غدًا وأنت من الشهوات في

الخاتمة

أخي الحبيب: قال **"من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء، فليتحلله من اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"** [رواه البخاري].

وتأمل في حال أهل العدل، وأين منزلتهم قال : **"إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقولون في حكمهم وأهلم وما ولوا"** [رواه مسلم].

وأثر العدل واضح على الفرد والمجتمع والدول، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (28/ 146).

إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت

مسلمة.

الفهرس